

المشرق

الملائكة بازاء العلم والدين

نظر فلبي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

الكنيسة الكاثوليكية في كلندارها السوي تذكر غير مرة الطنفة الملائكية اجمالا او افراداً بتخصيص احد الرعايا. الثلاثة المبرزين بينهم اغني ميخائيل وجبرائيل ورافائيل فتكرمهم اكراماً عاماً او خاصاً وتقيم الاعياد لذكورهم وتحض ابناهما على الالتجاء الى شفاعتهم. لكن الشهر الذي دخلنا فيه اي تشرين الاول قد اقرز لهذه العبادة ولاسيما لتكريم الملائكة الحراس الذين عهد الله اليهم حراسة بني البشر ليرشدوهم الى كل خير ويصونوهم نقياً وجسماً من كل ضير

فراينا ان تنتهز هذه الفرصة لتكتب فصلاً في هذا الصدد نجمع فيه خلاصة ما يستفاد من العلوم العقلية والدينية بخصوص الملائكة اذ قد قرأنا في بعض المجلات والجرائد الوطنية والمصرية التي صدرت في هذه المدّة الاخيرة كلاماً يناه في حقيقة الواقع وينظم في سلك الحرافات ما يروي به ارباب الاديان عن هؤلاء الملائكة فنذكر في قسم اول ما يُستدل به على هذا الامر من العلم الصحيح والعقل العائب ثم نتخطى في قسم ثانٍ الى ما افادنا الوحي في هذا الشأن

ودفعاً للالتباس تقدم على كلامنا ما نفهمه بالملائكة مع جمهور العلماء وعموم الناس فنقول: ان الملائكة لرواح مزممة عن المادة والاجسام المبرولة ذات فهم وارادة خلقها الله لخدمته وتنفيذ اوامره. وسنعود الى هذا التحديد في غضون ابحاثنا

الملائكة بازا. العلم

إن اسقينا العلوم البشرية سواء كانت في دائرة الطبيعة المحسوسة أو في نطاق ما وراء الطبيعة بقي عقل الانسان متحيراً متذبذباً في الجواب عن وجود الملائكة وتعريف احوالهم . أما العلوم الرضية الطبيعية فبسبب سكوتها ظاهر لأنها لا تتجاوز حيز المحسوسات والملائكة كما قلنا مجردون عن المادة فلا تمسهم يد ولا تبصرهم عين ولا تسمع ركزهم اذن وقس عليه بقية الحواس التي لا تحكم في غير المادة ذات الاقدار المحسوسة من طول وعرض وسك وعمق الخ . أما سكوت العلوم التي موضوعها ما وراء الطبيعة فلأن هذه تبني حكمها على حقائق أولية أو ثانوية يثبت العقل صحتها بالمقابلة أو بالتخطي من المفعول الى الفاعل . وبديهي أن قضية وجود الملائكة لا تنال بالمقابلة ويمكن نسبة كثير من المفاعيل الظاهرة في الكون الى الله توأدون توسط الملائكة والارواح

انقول اذن ان قضية الملائكة خارجة عن حيز العلوم وانها من القضايا التي يجوز للعلم ان يتناهى عنها ولا يكثر لها ؟ كلاً ثم كلاً
فان كان العلم قاصراً عن اثبات وجود الملائكة والارواح بنوره الخاص يمكنه ان يستضي بانوار قريبة منه ترشده الى معرفة الحقيقة

وأول ما يلوح للعقل السليم اذا اعتبر العالم وطبقات الكون انه يرى في المخلوقات سياتاً عجيباً يوصل بين كل حلقة منها حتى تكاد تلتحم ببعضها وتشترك بتواصل تام فيرتقي النظر في كل مواليد الطبيعة من الجراد الى النبات الى الحيوان الاعجم الى الناطق دون غناء . نفا ترى ألا يوجد بين الانسان المركب من قوى مدركة وجسم حيواني وبين خالقه الاله ذي الجلال والكمال العالي الكون مجبروته الابدي الازلي وعاءة كل معلول مكان حلقة أخرى توصل بين هذه الخليفة ملكة العالم المنظور وردها الواجب الوجود

فالجواب الذي يتبادر اليه العقل برويته وافرازه ان بين الكائنات المنظورة وخالقها الاعلى وسطاً اعني الارواح المخلوقة المجردة عن الهيولي فتكون بطبيعتها المترمة عن المادة اقرب الى الله ممثلة لكمالاته في كيانها الشبه بكيانه على قدر ما

يمكن المخلوق النهائي ان يثقل صورة اخالق غير النهائي. وهكذا تمتلى نوعاً تلك
الهاوية العظيمة التي بين الله عز وجل ومخلوقاته المشوبة بكدورة المادة وظلمة
الشهوة

وهذا الدليل سبق اليه اثثة الفلاسفة فاخصر القديس توما اللاهوتي رأيهم
بقوله: « لا بُد من اثبات جواهر مجردة عن الجسم هي واسطة بين الله والمخلوقات
الجسدية. وذلك لان الله بتكوينه المخلوقات انما يقصد الخير والخير يتوقف على
التشبه بالله. وهذا التشبه يكون انتم واكل اذا ماثل الملول عاتنه في ما به تصدر
المنة الملول ولما كان الله يصدر المخلوقات بالمقل والارادة اقتضى كمال العالم وجود
مخلوقات مجردة عن الجسم لا تدرك الا بالمقل فقط »

وقد انتبه فلاسفة العرب الى ذلك فتقل القزويني في عجائب المخلوقات
(ص ٥٥) قول واحد منهم فقال :

قال بعض الحكماء ان لم يكن في فضاء الافلاك رسة الهاديات خلانق فكيف يلق
بمكة البارئ تالى تركها فارغة خاوية مع شرف جوهرها وان لم يترك قمر البحار المألحة
المظلمة فارغاً حتى خلق فيه اجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق
له انواع الطير تسبح فيها كما تسبح السمك في الماء. ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة
والجبال الراضية الصلبة حتى خلق فيها اجناس السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب حتى
خلق فيها اجناس الحوام والحشرات فبالملائكة صلاح العالم وقام الموجودات وكال
الاشياء بتقدير العلم الذي لا يزب عن علمه شقال ذرة في الارض ولا في السماء

ولنا على وجود الملائكة دليل آخر قريب الى العقل مبني على هذا المبدأ الفلسفي
وهو ان ما اتفقت عليه كافة الشعوب والامم لا بُد من الحكم بصدقه وصحته اذ
ان في ذلك الوفاق دليلاً على ان الحقيقة طبعها في عقل الانسان مكون الطبيعة نفسه .
والحال ان القول بوجود الملائكة والارواح حقيقة ثابتة شائعة عند كل الامم بلا
استثناء كما تشهد عليه جميع آثارهم وتوازيهم بل كثير من الطوائف الممجة تعتبر
تلك الارواح كالهة دونة تعالى او يرفقه عز وجل

ولنا في شهادة التاريخ دليل ثالث يجب على العقل ان يرضخ له ويتقر به خانعاً .
فان اعتبارنا الاسفار القدسة كتأليف تلوينية فقط حررها رجال ذوو فضل وعلم يوثق
برواياتهم كما يستند الى روايات كتبة صادقين لا غاية لهم تحملهم على الخداع ثم

عالمين محققين لا يسمعون لاحد بان يموه عليهم بالتدليس والكذب وجب علينا الاقرار بوجود الملائكة اذ لا يخافوا سفر من الكتب المتذلة عن ذكرهم مباشرة بسفر التكوين (٢١: ٣) الذي ذكر الكروبيين الحارس لجنة عدن بعد طرد الابوين الاولين منها. وذكر الملائكة الثلاثة الذين نزلوا ضيوفاً مكرمين على ابراهيم الخليل (تك ١٨) ثم الملاكين اللذين انذرا لوط وامرته بجلول غضب الرب على سدوم (تك ١٩) ثم الملاك الذي افرج كربة هاجر واسماعيل في البرية (تك ٢١). ثم الملاك الذي اوقف يعقوب عن ضرب ابنه اسحاق (تك ٢٢) ثم الملائكة الذين رآهم يعقوب يرقون سلباً سرّياً وينحدرون منه (تك ٢٨). ثم الملاك المتقدم في طريق بني اسرائيل ليرشدهم الى لوز الميعاد (خروج ١١: ١٩ و ٢٣: ٢٠) ثم الملاك المصحح ليشوع بن نون بانّه قائد جيش الرب (سفر يشوع ٥: ١٣). ثم الملاك الداعي جدعون الى خلاص امته (قضاة ٦). ثم الملاك المبشر بولد شمشون وبدءه وتيه (قضاة ١٣)

ولو تتبعنا بقية تاريخ بني اسرائيل في عهد الملوك رأينا ملاكاً يقوت اليا النبي في البرية (٣ ملوك ١٩: ٥ - ٧) وعايناً الملائكة ينقذون السامرة من ايدي ملك الشام (٤ ملوك ٦: ١٥) وشهدنا ملاكاً يعمل سيفه في جيش سنطاريب فيدشمل الاشوريين (٤ ملوك ١٩). ومن منّا يجمل قصة طوبياً البار والملاك رافائيل رفيق ابنه الى بلاد ماداي وظهور السرافيم ليطهر شفاه اشعيا النبي (اشعيا ٦: ٢ - ٧) وكشف الملاك جبرائيل لدانيال النبي (١٦: ٨) عن زمن مجي المسيح

والمهد الجديد لا يجيد ذرة في هذا الصدد عن مرويات العهد القديم. افليس الملاك جبرائيل الذي انبا زكريا يميلاد يوحنا وبشر مريم العذراء بالسيد المسيح؟ اليس الملائكة الذين اوعزوا الى يوسف بان يذهب الى مصر ليخلص الطفل الالهي من غضب هيرودمس ثم تقدمت اليه بالرجوع عند وفاته وبسكنى الناصرة؟ ألسنا زاهم بعد ذلك في آلام السيد المسيح اذ ظهر واحد منهم للرب في بستان الزيتون ليقويه (لوقا ٢٢: ٤٣) ثم في قيامة المسيح يبشرون تلاميذه بهذا الخبر المبهج. وزاهم بعد صعود الرب يعزرون التلاميذ (اعمال ١) ويكسرون اغلال بطرس ويفتحون ابواب سجنه (اعمال ١٢) ويعهدون اليه معبودية الامم (اعمال ٨) وينشطون قوى

بولس في غضون سفره مجراً (١٤١ ال ٢٧) ويميطون ستر الصيب عن اعين يوحنا الحبيب
(سفر الرؤيا)

فترى ان شهادة اصدق المؤرخين متواترة منذ خلقه الابوين الاولين الى زمن
الحواريين في اثبات وجود الملائكة . فجاءت شواهدهم مؤيدة لما يتبادر الى حكم
العقل السليم ولما اتفق عليه رأي كل الشعوب . وهي احداث ثلثة توافقت على هذه
القضية البينة والحقيقة الراضة لا يستطيع ارباب العلم الاضراب عنها وتصميم سمهم
دونها . ومنها تتضح سخافة اولئك الكعبة المعصرين المتشدقين الذين يسخرون باهل
الدين لاعتقادهم وجود الملائكة وينسبون عملهم الى الحرافات

٢ الملائكة بازا. الدين

فان كان العقل الثير والذهن الصائب لا يجد في حقيقة وجود الملائكة ما
يستغرب دعنا نتخطى الآن الى ما يُعلمنا الدين المستقيم من امر اولئك الارواح
وصفاتهم واحوالهم المختلفة . فترى كم يفيدنا الوحي الالهي الذي يوسع المعارف
البشرية ويهدي الامم الخائفة له الى حقائق ما كانت لتدور على خلداهم وتحظر على
بالهم فيعقلها الانسان يعلم اصدق واثبت من العلوم الطبيعية نفسها

١ ﴿ اسماء الملائكة ﴾ قد دعا الكتاب الكورم الملائكة باسماء . مختلفة تدل
كلها على عظم شأنهم وسوء مقامهم . فسأهم بالارواح حيث قال داود في مزاميره .
(١٠٣ : ٦) : « باركي يا نفسي الرب . الصانع ملائكة ارواحاً » وكذلك قال بولس
الرسول في رسالته الى المعبوتين (١ : ١٤) : « اليس الملائكة جميعهم لارواحاً ترسل
للخدمة » . وقد دعاهم ايوب (١ : ٦ و ٢ : ١) « بني الله المائتين امام الله » : ويُدعون
في انجيل متى (١٨ : ١٠) « بسكان السماء » كما يدعوهم النبي داود (مز ١٠٢ : ٢١
و ١٤٨ : ٢) « بقوات الرب » وجنود الملي . وكذلك يدعوهم سفر اخبار الأيام الثاني
١٨ : ١٨ وسفر نحميا (٦ : ٦) « مجند السماء » . وكل هذه الاسماء تشير الى رفعة قدرهم
وخواصهم الراقية فوق البشرية . وانما اسمهم الشائع انما هو « الملاك » ومعناه في
العربية وبقية اللغات السامية « المرسل » دلالة الى مهمتهم الخاصة بان يكونوا رُسلًا
للسلي ينفذهم الى كل الحدم النبوطة بمجلايه تعالى

ولم يُذكر من اسماء اعلام هولاء الملائكة غير ثلاثة اعني ميخائيل كزيس . جند السماء (دانيال ١٠: ١٣ و رزيا ١٢: ٧) ومعنى اسمه " من كانه " ثم جبرائيل اي قوة الله (دانيال ٩: ٢١ و لوقا ١١: ٢١) ثم رفايل اي شفاء الله (طويياً ١٣: ١٢) وقد وردت اسماء غيرهم من الملائكة في الكتب غير القانونية والاسفار الموضوعة واناجيل الزور كجبرئيل واورونيل وغير ذلك مما ليس تحته كبير امر

٢ في تكوينهم ^ب ارناى بهض قدما . الفلاسفة الوثنيين او المتبعين ومن جملتهم ابن رشد ان الملائكة متصفون بالقدم موجودون منذ الازل اما مستقلين بالوجود عن الله سبحانه وتعالى واما صادرين عنه منذ الازل . وكلا القولين باطل لان الله عز وجل هو وحده واجب الوجود موجود بذاته وكل ما سواه محدث والمحدث مطول لا بُد له من علّة تخرجه من العدم الى الوجود . فاللائكة اذن خلقت الله ابداهم بمشيئته وخلقهم جوهرهم وكيانهم . اما الزمن الذي جرى فيه تكوين الملائكة فالآراء فيه متباينة والاسفار الالهية لم تصرّح به وانما تشير الى ان ذلك الامر حصل قبل خلق الانسان في بدء تكوين العالم ويرجع مفسرو الكتب المقدسة كون موسى نوه بخلق الملائكة في مفتتح سفر التكوين حيث قال : " في البد . خلق الله السماء والارض " قوله " السماء " يشمل الملائكة سكان السماء وزيتها . وزاد دستور الايمان في نيقية تصريحاً بقوله : " نؤمن باله واحد . . . خالق السماء والارض جميع الذي يرى وما لا يرى " فنظم الملائكة في عداد الامور الخارجة عن دائرة عالم الحس . وقد اثبت ذلك المجمع اللاتراني الثالث سنة ١٢١٥ فحرم البابا لوقيوس الثالث الذين ينكرون " ان الله في بدء الزمان خلق من العدم كل الكائنات المنظورة وغير المنظورة والخلائق الروحية اي الملائكة والجدية اي العالم الميولي والخلائق الناطقة المشتركة بينها اي الطبيعة البشرية " وقد نقل المجمع الفاتيكاني قول المجمع اللاتراني واثبت سنة ١٨٧٠

٣ ^ب عددهم ^ب لم تذكر الاسفار الالهية عدد الملائكة وما يمكن العقل ان يرتيه بالاجمال ان هذا العدد لا يحيط به احصاء بشر فلا بُد ان يكون وافراً جداً . وذلك اننا نرى اعمال الله متناسبة اذ صنع كل شيء على قول سفر الحكمة (١١ : ٢١) " بمقدار ووزن وعدد " فان كان عالم الاجساد المادي المنظور قد توقفت فيه

المخلوقات المتنوعة التي لا يحصيها غيره تعالى أفليس الاخرى ان يكون عالم الارواح وهو اشرف من العالم الهولي ممتازاً بوفرة العدد والانواع التي تنطق بعظمة الخالق وقدرته غير المتناهية. وفي الواقع قدر رمز في الكتب المنزلة الى هذا العدد البالغ. فان السيد المسيح ذكر في انجيل متى (٥٣: ٢٦) انه يستطيع ان يثال من ابيه " اكثر من اثني عشرة جوقة من الملائكة". وراى منهم يوحنا الرسول في جليانه (١١: ٥) " ربوات ربوات والوف الوف " وكان دانيال (١٠: ٧) قبل ذلك راى في خدمة الرب الاله " الوف الوف يحدونه وربوات ربوات واقفين بين يديه ". ومن هذا يتضح ان عدد الملائكة يفوق كل احصاء وان الله وحده يحيط بمددهم

٤ ﴿ طبيعة الملائكة ﴾ قد عرّب بعض الكتبة الاقدمين بزاعم افلاطون وباقوال كتب دينية ظنوها منزلة كسفر اخنوخ ورزيا آدم فجعلوا الملائكة مع تجرّدها عن الجسم غير مجردة عن المادة فزعموا انها حاصلة على مادة هوائية او جوهر هولي لطيف تستعين به على العمل وبلغ التطرف ببعضهم الى ان نسب الى اولئك الارواح معظم الافعال البشرية من اكل وشرب وزواج مستدين في ذلك الى بعض آيات الكتاب المقدس التي اساؤوا فهمها او حملوها على غير معانيها. وما اجمع عليه علماء الكنيسة الكاثوليكية منذ مئتين من السنين ان الملائكة ارواح صرفة لا يحالطها شيء من كدورة المادة. ومن ثم ينكرون ان هذه الارواح مركبة من صرة ومادة كواليد الكيون وانما تعمل اعمالاً حيوية في الاجسام وانما تحمل في المكان بمهارة اجزائه او تنصف بالقوى الشهوانية والغضبية لان كل ذلك خاص بالمادة والارواح العلوية مجردة من كل مادة. وتجردها هذا لا يجعلها في رتبة الله سبحانه وتعالى لانها بعيدة عن كماله من وجوه متعددة فان قواها محدودة محدثة مقيدة بخلاف الخالق الذي لا يحده زمان ولا مكان. وكذلك في جوهر الملائكة نوع من التركيب بما فيها من الفعل والقوة المتماقين اما الله عز وجل فهو وحده فعل محض

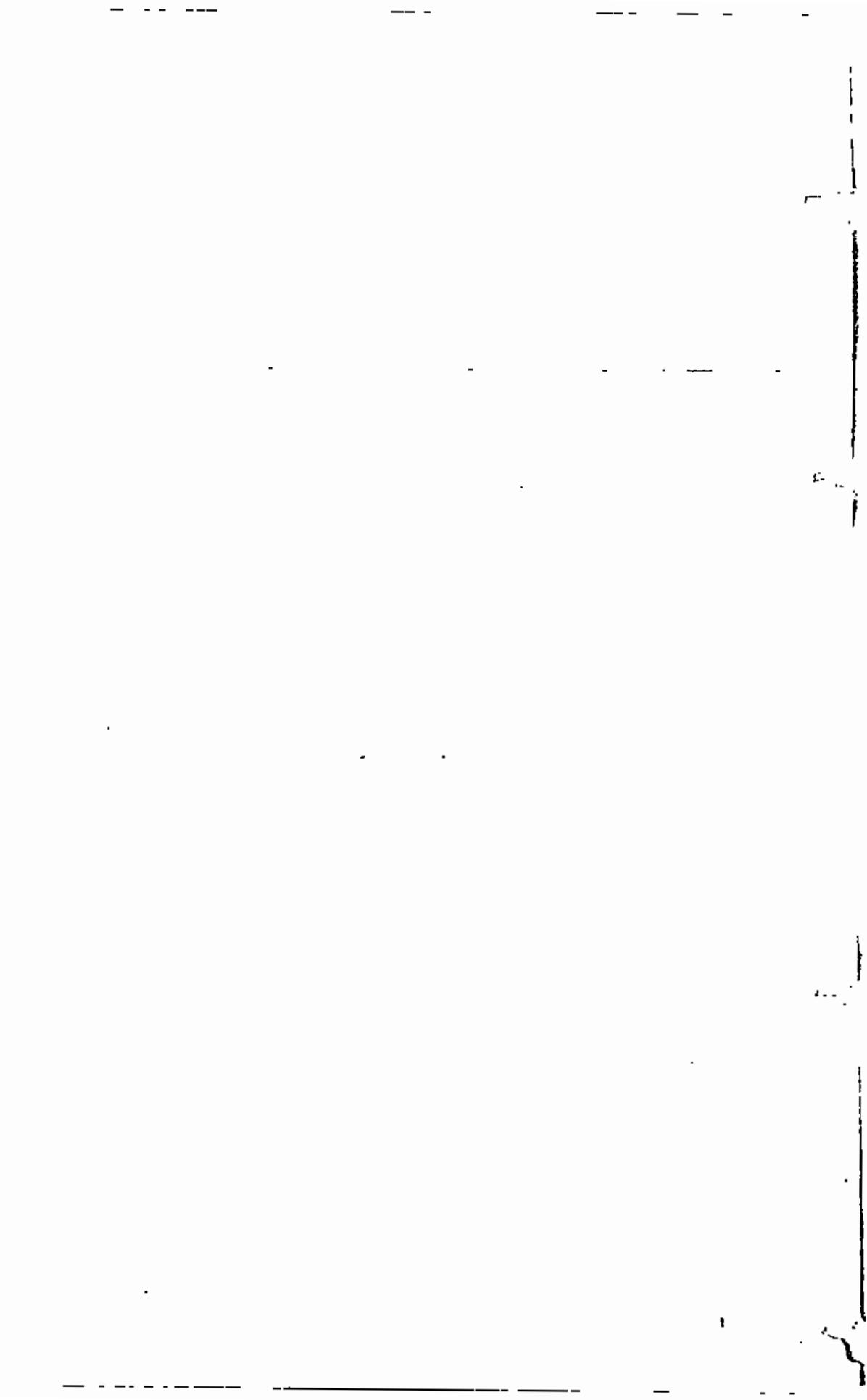
اما نصوص الكتب القدسة التي تنسب لبعض الاعمال السادية الى الملائكة ففيها نظر فنهما ما لا يمني للملائكة كقول سفر التكوين (٢: ٦) " ان بني الله دخلوا على بنات الناس " فليس المراد ببني الله الملائكة كما ظن البعض ولكن

ابناء شيث الذين كانوا صالحين ثم استسلموا للشهوات اما الملائكة فيعلمون فوق هذه الشهوات علواً كبيراً وسوف يشبههم الابرار في القيامة كما قال السيد المسيح (متى ٢٢: ٣٠) "انهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ولكن يكونون كالملائكة الله" - ومن هذه النصوص الكتابية ما يصح عن الملائكة على طريقة المجاز اذ اتخذ بعضهم باذن الله اجساماً مستمرة لما ظهروا للبشر كإفانيل الملاك الذي رافق طوبياً متنعماً بصورة جسدية فإظهار في كل حركاته وسكناته واكله وشربه انه انسان مثله لكنه صرخ له بعدئذ (طوبيا ١٢: ١٩) ان ذلك انا كان مجازاً وتعلماً فقال: "لما كنت معكم كان يظهر لكم اني اكل واشرب وانما انا اتخذ طعاماً غير منظور وشرباً لا يبصره بشر "

فروحانية الملائكة تلوح من هذه الآيات وغيرها كالشمس في رابعة النهار. وبثبوت هذه الحقيقة تثبت حقائق اخرى هي كنتاج لاحقة بها. من ذلك خلود تلك الارواح اذ لا يطرأ عليها فساد يستطيع ان يشوهها والروح من ذاتها ثابتة الوجود لا يقدر ان يلاشيها غير الله وان كان الله لا يلاشي ذرة من عالم المادة مع فساد المادة وتحولاتها فما قولك بالارواح غير القابلة للفساد

ثم ان هذه الارواح مخلدة كما هي روحانية فلا بد ان تحيا حياة جديدة بها اعني حياة شبيهة بالروح الخالق وذلك بعقلها وادائها. وانما عقلها يفوق العقل البشري من حيث كآله وسرعة ادراكه وطريقة معرفته وهي لا تحتاج الى ان تستقي معارفها عن الحسوس فتجردها مثلنا عن المادة بل تعقلها في ذاتها دون تدريج ودون توسط وتدرك ماهيات كل الاشياء بلا تركيب ولا تفصيل ولا انخداع باعراضها. وكذلك ارادتها تميل طبعاً الى ما يدركه عقلها من الخير الكلي ميلاً كاملاً لا يترج بكدورة الشهوة كإرادة البشر مع حرية الملائكة للاختيار بين الامور المتباينة. على ان عقولهم تختلف وفقاً لطبقاتهم فيعقل بعضهم من الحقائق ما لا يعقله غيرهم وكذلك تختلف قوة ميلهم الى العقولات على مقتضى ادراكهم لاهياتها

٦ ﴿ حالة الملائكة من النعمة ﴾ ان الملائكة مع شرف طبيعتهم فوق الطبيعة البشرية هم بعيدون عن الله بعداً غير متناه فطبيعتهم رغمًا عن خلوصها من كدورة المادة لا توصلهم الى معرفة الله ومحبة من حيث هو مبدأ لوجودهم





- ١ صورة السيد المسيح بين ملاكين في كنيسة القديسة اغانا في راقنا (نحو السنة ١٤٠٠م)
 ٢ صورة ميخائيل رئيس الملائكة في كنيسة راقنا من القرن السادس
 ٣ صورة ملاك الانتصار في دياميس رومية
 ٤ ملاك في يده صليب متوج من كتاب مخطوط في القرن السادس

الطبيعي وذلك ملائم لطبيعتهم . أما معرفة الملائكة لله وتوجه برادتهم اليه من حيث هو موضوع - عبادتهم الابديةً فذلك يفوق طبيعتهم ومن ثم يحتاجون الى نعمة خاصة من الله لتزويدهم لرويته تعالى بالذات ويحصلوا بذلك على سعادتهم القصوى على أنه تعالى لم يزل تلك النعمة ملائكة الأبعد امتعانهم لينالوا السعادة الابدية بوجه الاستحقاق لجعلهم بعد خلقهم في حالة يمكنهم فيها ادراك سعادتهم باختيارهم الشخصي وعلمهم الخاص مع النعمة الالهية . ولما بلغهم الله بهضاً ارادهم ليستحق طاعتهم خام بعضهم عن الخضوع لمشيته تعالى ونشروا راية العصيان وكان زعيمهم ابليس خزاه الله خدع بمجن صفاته ونسي ان عاقبته من كرمه عز وجل ففسبها الى نفسه وبجس حرقه تعالى . ثم تبعه في تمرده قسم من مشايخه على خلاف ميخائيل وغيره من الملائكة الصالحين الذين انتصروا لله وختموا لمشيته وقاموا الارواح المتمردة وبرت تلك الوقائع التي وصفها يوحنا الحبيب حيث قال (الرويا ١٢ : ٧ - ١١) : « حدث قتال في السماء . ميخائيل وملائكة كانوا يقاتلون اثنين وكان اثنين وملائكة يقاتلون فلم يقروا ولا وجد لهم موضع بعد في السماء . فطرح اثنين العظيم الحية القديمة المسمى ابليس والشيطان الذي يضل الكفونة طرح الى الارض وطرح ملائكة معه » . وقال السيد المسيح مثيراً الى سقوط ابليس (لوقا ١٠ : ٨) : « اني رايت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق »

فذاك الحين نال الملائكة الابرار سعادتهم القصوى بروية الذات الالهية كشراب امانتهم في خدمة الله التي لم يعودوا يستطيعون الحياذ عنها الى ابد الدهر وقال الشيطان مع حزبه العقاب الذي استخه بمصيانه ففصل عن شركة الله بل رُج في الهاوية وجحيم النار الذي خلقه الله لجزاء معصيته فموقب بالنار المادية وهو روح فوق المادة . على ان طبيعة الشيطان لم تتغير مع ذلك فبقي روحاً مجرداً عن الهيولي لم يجرمه الله قوى عقله ارادته وان كان منذ سقوطه يوجهها الى الشر والأذى الى الطبيعة البشرية التي يريد اجتذابها الى عصيانه ليكون نصيبها كنعيبه . الا انه لا يستطيع ان يأتي بضرر بدون اذنه تعالى فن لا ذبه وعاذ برحمته نجا من مكاييد ابليس خزاه الله

هذا ما افادنا به الرحي الشريف عن حقيقة الملائكة الصالحين والاشرار وهو

مطابق لأحكام العقل الصائب والآثار الاجتماعية بين ارقى الامم تمدناً وحضارة
 فيزيل كثيراً من المشاكل التي لا يحلها الملحدون في تاريخ البشرية شاووا ام ابوا
 ولا بأس هنا من الاستطراد في القول لتريف مزاعم الذين ينكرون وجود
 الالبسة وينسبون الى الخرافة ما رواه عنهم كتبة الاسفار الالهية . فان آثار
 اعمال الشياطين ظاهرة بين كل الشعوب الوثنية حتى يومنا . ولا يمر علينا سنة
 دون ان نطلع على شيء كثير من ذلك في كتابات المرسلين في الصين والهند ومجاهل
 افريقية مما تبيته اوثق الشهود باليان . هذا فضلاً عن تاريخ كل الامم بلا استثناء
 وان اختلفوا في اوصافهم وتعريف طبائعهم وتبيان خواصهم وجملتهم في عداد
 الجن والمخلوقات الروحية ولولم يوجد في زماننا غير خوارق السيرتم لكانت كافية
 لإثبات وجود الارواح النجسة وتأثيرها في العالم البشري

٧ ﴿ مراتب الملائكة ﴾ سبق ان الله يصنع كل شيء بوزن و مقدار .
 فن الحال ان يكون خلق ذلك العدد العديد من الارواح الذي نؤمن به دون ان
 يجعل فيه نظاماً وترتيباً . والى ذلك تشير الآيات التي مر ايرادها . فان الملائكة
 يدعون بجيش السماء . ومجدد الله وبفرق سماوية وكل ذلك يثبت وجود نظام تام
 بين الملائكة وفي كل فئة من فئاتهم

ولكن يا ترى ما هو هذا النظام وهل كشف الله القناع عنه نوعاً ليقف الانسان على
 بعض عاينه . فالجواب على ذلك ان الرحي افادنا شيئاً من ذلك ايضاً فان استقرينا
 آيات العهد القديم والعهد الحديث وجدنا ذكراً لتسع طنفات من الملائكة فذكر
 الكرويين في سفر التكوين (٦١:٣) وغيره من الاسفار المقدسة . وذكر اشعيا النبي
 السرافيم (٦:٦ و ٦) . واورد بولس الرسول في رسالته الى اهل افسس (٦:١) (٦:١)
 اسماء لربع طبقات اخرى وهم الرنسات واللاطين والقوات والسيادات فقال ان
 السيد المسيح جلس من عن يمين الآب فوق كل هذه الطنفات الملائكية . وكرر ذلك
 في رسالته الى اهل كورنثي (١٦:١) وزاد على تلك الثقات فئة خامسة وهم العروش
 فقال : « ان به (اي السيد المسيح ابن الله) خلق جميع ما في السموات وعلى الارض
 ما يرى وما لا يرى عروشاً كلن او سيادات او وناسات او سلاطين » . وصرح
 يهوذا الرسول (ع ١) وبولس الانا . المصطفى (في رسالته الاولى الى تسالونيقي

(١٣:١) باسم رؤسا. الملائكة. اما الملائكة فاسمهم في كل الاسفار المقدسة ورؤسا أطلق هذا الاسم على كل طبقات الملائكة عمراً وان كان خاصاً بادنى طبقاتهم وهذه الطبقات التسع لها مراتب معلومة يقسمها بمض الآباء. واللاهوتيين الى ثلاثة اقسام: قسم اعلى وهم الكرويين والرافيم والروش الذين يقربون من جلاله تعالى ويقومون بخدمته الخاصة. وقسم اوسط وهم السادات والقوات والسلاطين الذين يلبسون اوامره تعالى الى الفئات التي دونهم ويُظهرون قوّة الله في اعماله الخفية والمعنوية. وقسم ادنى وهم الرنسات ورؤسا. الملائكة والملائكة الذين مُهد اليهم خصوصاً امر العالم الهولي ولا سيما تدبير الانسان الناطق

وهذا القليل الذي نعرفه عن الملائكة ورتبهم لا يكاد يبيل القليل حتى ان ائمة علماء الكنيّة عدوا معرفتنا للملائكة ورتبهم احرى ان تُدعى جهلاً. وترى الآباء. انفسهم لا يتفقون في عدد مراتب الملائكة واقسامها وترتيبها وخواصها. قال اكبرهم واثبتهم علماً ولسانهم عقلاً القديس اوغسطينوس في رسالة كتبها الى اوروسوس (١): «لا شك انّ في السما. عروشا وسيادات ورناسات وقوات وانا اؤمن بذلك ايماناً حثاً وكذلك لا ريب في انّ بينهم فروقا ولكن ان سألتي ما هي وباي شي يختلف بعضها عن بعض اقررتُ بجبلي مها أدّى اقراري الى ازدرائك في بعد ان دعوتني بالمقان الكبير»

٨ ﴿ اعلمهم ﴾ انّ جهلنا بمراتب الملائكة يتناول ايضا اعلمهم فلا يمكننا القطع بما يقُلدهم الله من المهن لخدمته او لخدمة الكائنات. وغاية ما يقال عنهم انهم منقطعون الى تسييح الله واقام اومراه. قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥:٥٥) انّ الملائكة... لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون طماهم التسييح وشراييم القديس وانهم بذكر الله وقُرُحهم بمبادته خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاتِه وامكان سجاواتِه

وقد سمي مع هذا بعض الكتبة ان يمددوا اعمال الملائكة ويعيدوا بين مهمتهم فيروا بينهم حمة العرش الالهي والمالكين على حضرة القدس المتفرقين بمجال الربوبية

والمداومين على التقديس والتسبيح والتبجيل والمبشرين لاوامر العلي والموحين باسرار
الى اوليائه والموكنين بالامم والشعوب والجماعات الدينية والكنائس وروما الدين
والنازلين بالبركات على الخلائق والصاعدين الى الله بعبوات البشر وحنانهم
وصدقاتهم وصلواتهم والمبشرين خصوصاً بالمختارين وخدمة سر الفداء والمهود
اليهم حفظ نظام العالم والافلاك

فهذه وما اشبهها من الاعمال الشريفة قد اسندها لوانك الكعبة الى آيات شتى
وردت في الاسفار الالهية كزوى الانبياء اشعيا وحزقيال ودانيال وكتاب طوبياً
وجيلان مار يوحنا الحبيب

٩ ﴿ الملائكة الحراس ﴾ واحص هؤلا. الارواح بالذكر الملائكة
المولود بيني آدم المروفون بالملائكة الحراس. ففي انكسب المذلة ما يثبت
وجودهم قال النبي داود (مز ٩٠) « ان الرب يوصي ملائكته بك ليحفظوك
في جميع طرقك على ايديهم يحلونك لئلا تصدم بججر رجلك... انجيح لانه تطلق
بي». وأصرح من ذلك قول. قى الرسول عن ملائكة الاحداث (١٨: ١٠):
« احذروا ان تحتروا احد هؤلا. الضفار فاني اقول لكم ان ملائكتهم في السموات
كل حين يماينون وجه ابي الذي في السموات». ومعظم الآباء. في شرحهم لهذه
الآية يستنجون منها حقيقة وجود الملائكة الحراس لكافة البشر ولكل من
افرادهم نخص منهم بالذكر اوريجانوس المعلم والتديس يوحنا في الذهب والتديس
غريغوريوس نحصس والتديس امبروسوس. قال التديس ايرونيوس في تفسيره
(Migne, P. L, XXVI, 130): « ما اعظم شرف النفوس التي خول الله كل
واحدة منها ان يقوم ملاك بجراستها من اول حياتنا الى ختامها »

والحق يقال ان الله ذا الجود والرحمة لا يذر خليفة آية كانت دون ان يشملها
بمنايت وعناية ملائكته أفيمكنه ان يحرم من هذه النعمة اشرف خلائفة الجدية
المدع بملك الكون المحسوس مع ما يتهدد جسده ونفسه من المخاطر في كل اطار
حياته. وليس هذا مقصوداً على المؤمنين بل يعم كل فرد من افراد البشر. وهذه
الحقيقة وان لم تكن من عقائد الايمان الا انها شائعة بين اللاهوتيين ومطلي الكنيسة
حتى ان ناكها لا يسلم من اللام. فشكراً لاذك الاله الجواد الذي انعم علينا بنعمة

كبهذ ان يصحب كل فرد منّا احدُ امراء بلاطه الجاري ايرشدنا الى الخلاص وينير عقولنا ويجيد بنا عن الاثم وينشطنا على عمل الخير ويجرك قلوبنا على الاثابة الى الله ويسعنا في كل حاجتنا نفساً وجسماً ويرافق روحنا امام الدين ساعة موتنا

١٠ هَيْئَةُ الْمَلَائِكَةِ وَصُورِهِمْ ﴿١٠﴾ الْمَلَكُ كَمَا سَبَقَ جَوْهَرٌ مُقَدَّسٌ عَنْ كَثَافَةِ الْمَادَّةِ أَلَّا أَنْ الْإِنْسَانَ مَرْكَبٌ مِنْ جَسَدٍ وَنَفْسٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ الْغَيْرَ الْمَنْظُورَ إِلَّا مَجَسَّماً عَلَى صُورَةٍ مَنْظُورٍ حَتَّى . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُمَثِّلَ لِمَنْبِئِهِ صُورَةَ الْمَلَائِكَةِ فَكَّرَ أَوَّلًا فِي طَبِيعَتِهِمُ الْمَجْرُودَةَ عَنِ الْمَيُوسَّةِ فَسَمِيَ الْمَصُورُونَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى بَرَاتِهِمْ فَتَارَةً الْبَسْمُومَ ثِيَابًا بَيْضًا . كَالثَّلَجِ وَهَكَذَا ظَهَرُوا بَعْدَ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ (مَتَّى ٢٨ : ٣) وَتِلْكَ جَرْدُومُهُمْ عَنْ كُلِّ ثَوْبٍ دَلَالَةٌ إِلَى جَوْهَرِهِمُ اللَّطِيفِ الْمُتَّزِّهِ عَنِ الْمَادِّيَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ

ثم افكر الانسان في حالتهم من المجد ورفعة المقام فرمز عن ذلك بزهود مختلفة فصوّرهم في مقبل الشباب دلالة على خلودهم وجعل اكليلاً من النور حول هامتهم او احنهم النور اشارة الى كونهم ارواحاً نورانية او اقامهم في وقود النار تنويحاً باضطرارهم بحب الاله او البسهم الارجوان الفاخر معلناً بساحتهم ورفعة شأنهم في ملكوت الله

راجياناً كثيراً تأمل المرء اعمال الملائكة فاراد ان يخرجها بصورة عسوسة . فثقل الملائكة سجوداً وركوعاً امام الحضرة القدسية او صورهم باجنحة تنويحاً بسرعة انجازهم للاوامر الملوية . وهكذا ظهروا لاشيا النبي والحزقيال وليوحنا الحبيب . وكثيراً ما يحتجبون باجنحتهم امام عرش الله هيبة ووقاراً . ومنهم من صورهم وبأيديهم آلات الطرب يدل بذلك الى تساييهم المتواصلة لجلاله تعالى . ويصورون الحراس منهم محكين بأيدي الاحداث ليصوونهم من كل الآفات او يمشون في رقعة الموق ليدخلوا بارواحهم الى النعيم بعد وفاتهم . وربما صوروا الملاك جبرائيل مبشراً البتول ويديه سوسنة بيئة وصوورا ميخائيل بيئة قائد جند يدوس تحت رجليه الملاك المارد . وصوورا رفائيل مرشداً لطوبياً في طريقه

فتدى ان كل هذه التصاویر كإعلان البشر بمعتقداتهم في وجود الملائكة

وكأقرار بصفتهم الجليلة وخواصهم الفريدة

١١ ﴿ اكرام الملائكة ﴾ تقرر في ما سبق ان الارواح الملائكية مقدسة ومتحدة بكل الصفات السامية التي تحملها مرضية في عين الله عزوة على قلبه وانها في رتبة اربانه القديسين . وكل من كان في هذا المقام يستحق الاكرام ويستوجب العبادة كأن الملائكة خلانق مستقلة بل كاصدقا . الله واصحاب معه ولا يقولن القائل ان تلك العبادة تبخس حقوق الخالق . فحاشا وكلا لان اكرام تلك الارواح والتبند لها والاتجا . الى شفاعتها في ضيقات الحياة انما هو عائد الى تعالى الذي خلقها وحوثها تلك الصفات الجليلة . فيقال ان اكرام نائب الملك اهانة للملك ؟ او ليس هو بالحري واجب نظرا الى علاقة النائب بملكه ؟ وقد قال الرب غير مرة ان كل ما نضع باحد رسله ونوابيه فيه نصحه . وزد على ذلك ان للملائكة فضلا آخر على البشر وذلك حراستهم لهم والاهتمام بشؤونهم الروحية والحدسية . فكيف يتناضى الانسان عن شكرهم وطلب حمايتهم والمجاهرة باكرامهم . افلا يكون تقاضيه نكرانا للجميل ؟ وان اعترض المتراض بقوله ان الرسول بولس في رسالته الى اهل كورنثي (٢ : ١٨) نهى عن عبادة الملائكة اجبتا ان كلامه هناك عن اكرامهم كآلمة كما كان يفعل الوثنيون وبعض المتدعين من اللاأدريين . وعلى هذا التوال نهى الملاك يوحنا الرسول عن السجود له في سفر الرؤيا (١٩ : ١٠) وقس عليه بقية الاعتراضات التي اوردها بعض البروتستانت وهم لم يدركوا معنى العبادة والاكرام كآتنا لا نفرق بين واجباتنا الاولية للخالق والاكرام الثانوي للقديسين والملائكة وشأن ما بينهما . قال اوسابيوس القيصري في كتاب الايضاح الانجيلي (Migne, P. G., XXII. ٢٢٣) : « ان الله خذنا مقتدرين وقوات قائمة في انجاز اوامره فهولا . نحن نكرمهم الاكرام اللانق (κατά προσήκον τιμῶντες) ولكننا نسجد لله وحده » . وكرر ذلك القول في محل آخر (ibid., XXII, 193) بكل صراحة : « اننا قد تعلمنا ان نوقر هذه الارواح الساوية لاجل شرفها ورفعة مقامها دون ان نخل بواجبات عبوديتنا لله وحده »

١٢ ﴿ اتفاق اكنانس الشرقية والتربية بخصوص الملائكة ﴾ ان الخلاف الواقع بين البيع الشرقية والتربية في بعض حقائق الايمان لم يس في شي متقدما في اخص القضايا المتوطة بالملائكة فلو لتقربنا كل الطوائف النصرانية

من يونان وسريان وقبط وارمن وجدنا تعاليمهم في هذا الصدد متشابهة كما يظهر من نصوص طقوسهم واقوال معلمهم . فكلهم يتفقون في الاقرار بوجود الملائكة وبحقيقة جوهرهم المجرّد عن المهيولي وكذلك يعتقدون وفرة عددهم واختلاف مراتبهم وسقوط بعضهم ونفيهم من السماء . ويقرون بكون الآخرين قائمين بخدمة الله ومنتصين لاوامره في كل ما يُعهد به اليهم ويصرّحون بوجود اكرامهم بالنسبة الى الرب سيدهم ويخصّون بعض الاعياد لهذه الغاية . فكل هذه المتفدات لا تختلف فيها كنانس الشرق عن الغرب مع وجود بعض اختلاف في امور ثانوية تعددت فيها الآراء . بين العلماء دون ان تحكم الكنيسة فيها الحكم الفصل . ودونك بعض شواهد من هذه الطوائف تدل على قولنا

فان الكنيسة اليونانية تذكر كل يوم اثنين الملائكة وتطلب معونتهم وفي السواعي دعاء للملائكة وصلاة للملاك الحارس . وفي القداس صلاة الى الله تطلب منه ان يرسل ملاك السلام والدليل الامين وحارس النفس والجسد ، هذا فضلا عن عدة اعياد في كلندارها لذكر الملائكة

ان اقدم الآثار السريانية منذ القرن الرابع مباشرة بالحكم افراط ثم ما افرام وبقية الآباء . وكذلك الطقوس في اكنائس اكلدانية والسريانية والمارونية ومثلها كتب اكنائس النسطورية واليمقوبية مشحونة بذكر الملائكة وامتيازاتها وطقماتهم واعمالها . قال افراط في ميمره الثامن عشر (طبعة باريس ص ٨٢٧) : ان الله من الخدمة المارين الوف الوف الذين يجدون اسه ويمظسونه ويصمدون وينحدرون لانام اوامره في سرعة البرق . مقامهم في اعلى عليين وكلهم بغم واحد يمدون مجبوت الله . كلهم مختارون كلهم محبوبون كلهم اقرباء . وهم ينجزون مع ذلك اوامره تعالى مخوف وارتداد . . . كلهم يرددون تسبحة القديس هاتين : قدوس قدوس القدوس الرب اله الصباوت الارض كلها مملوءة من مجده .

وقد نقل اغانتج اول مؤرخي الامن في تلويح كلام القديس غريغوريوس النور عن الملائكة قال : « خاق الله الملائكة في البدن من النور وحلاهم بالضياء الساطعة وخولهم العقل والنهم واتخذهم كخدمته ليلتموا اوامره عز وجل الى الخلائق الناطقة » . ومثا ازنك الاسقف في القرن الخامس قد وصف الملائكة كلواح

مجردة عن الجسد وخصهم بكل خواص الارواح نافياً عنهم كل فساد وتغيير وتوالد
وغو الخ. والكنيسة الارمنية كبقية الكنائس تستنفع بالملائكة وتكرمهم على
حسب مقامهم في صلواتها الطقسية

فناهيك بهذا الاتفاقات دليلاً قاطعاً على حقيقة تعاليم الكنيسة عن الملائكة وفي
الآثار القديمة ما يؤيد هذا التعليم نأن المأمة البندكي دون لوكلارك (H. Le -
clercq) جمع في معجم الآثار النصرانية (Dictionnaire d'Archéologie
chrétienne) كتابات قديمة وتصاوير مختلفة يرقى بعضها الى القرن الثاني او
الثالث وُجِدَت في دياميس رومية وبلاد لا تدع شكاً في معتقد قداماء النصارى
بوجود الملائكة وساثر امتيازاتهم فمليك بها

وفي الختام نكرر ما افتتحنا به مقالتنا ان نكران بعض الكعبة الحقائق
المثبوتة بالملائكة ونسبتها الى الاختراعات والحرافات ادل دليل على سخافة عقل
اولئك المتحذلقين وجهلهم المطبق اذ لا يتجاوز عقلهم دائرة المادّة فيحصرون العالم
كله مع عقلهم في هذا النطاق الضيق انارهم الله

مقالتان قديمتان في قوس قزح

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوَاطُؤًا

ان العرب الذين تعقبوا آثار اليونان والبربان في علم الهيئة ووصف الكواكب وحركات
الافلاك لم يخلقوا لنا الا شيئا قليلا عن الظاهر الجبوتية كالحرارة والبرد وثقل الهواء والامطار
والقوج. ولعل السبب انهم لم يعرفوا تلك الآلات الطليفة التي وضعها علماء القرون الاخيرة
كالقرومتر والبارومتر ومقاييس الامطار والاهوية. ومن ذلك قوس النعام المعروف بقوس قزح
فانهم لم يكتبوا غير الأثر الوحيد وذلك غالباً في اثنائه كلامهم من المناظر والبصريات وقد
راجعتنا قوائم المخطوطات الرمنية في المكاتب الارمنية وغيرها فلم نجد فيها ذكراً لقوس قزح